ثقافة السلام

مناقشات حول قضية ثقافة السلام

ندوة نقلتها: رحاب مكارم

أقام التلفزيون المصري في مساء ٢٠ نوفمبر الماضي ندوةً حول قضية «ثقافة السلام» تحدَّث فيها مجموعةٌ من المفكِّرين المصريِّين ينتمون إلى توجُّهات متعدِّدة. شارك في الندوة د. صلاح بسيوني رئيس جمعيّة القاهرة للسلام، ود. السيد ياسين مستشار مركز الدراسات السياسيّة والاستراتيجيّة بالأهرام، وعقّب أساتذة آخرون هم د. محمد السيد جمال المدرِّس بجامعة القاهرة، ود. جهاد عودة أستاذ العلاقات الدوليّة بجامعة حلوان، والأستاذ أحمد الحملي الخبير الإعلاميّ في الشؤون الإسرائيليّة.

محمد السيد جمال: هناك قضايا عديدة تتعلّق بالمسألة، منها حلُّ مشكلات الأراضي المحتلّة، ومشكلات اختلال التوازن الاستراتيجيّ. ينبغي أن تُحلّ هذه المشكلاتُ أولاً، ثمَّ نتحدَّث عن «ثقافة السلام» بعد ذلك. لا يمكن أن تكون هناك ثقافةُ سلامٍ بين شعوبٍ تتنازع على الأراضي أو في وضعٍ تكون فيه إسرائيل محتلّةً لأراضينا. ولا يمكن أن نَفْهم التسامحَ وحريةَ نقل المعلومات بين دولٍ تحتلّ بعضُها أراضي البعض الآخر.

هناك نقطة ثانية: إلى مَنْ نوجِّه مفهوم «ثقافة السلام»؟ هل توجَّه هذه الثقافةُ الى الشعوب العربيَّة وشعوب الجنوب عامةً، أم إلى الدول الكبرى في النظام الدوليّ؟ الدول العربيَّة كانت باستمرار هي التي تتلقَّى العدوانَ من الطرف الإسرائيليّ. ومن ثمَّ فإنَّ الحديث عن ثقافة السلام ينبغي أن يوجَّه إلى أولئك الذين تسبَّبوا بسلوكيَّاتهم في بناء ثقافة الحرب في هذه المنطقة، سواء من خلال احتلال الأراضي أو طردِ الشعوب أو امتلاكِ الأسلحة النوويَّة وغيرِها من أسلحة الدمار الشامل.

النقطة الثالثة: هل مفهوم «ثقافة السلام» هو مفهوم عالميٌّ عامّ ينطبق على كلّ المشكلات الدوليّة، أم أنَّه مفهومٌ خاصّ ينطبق على مشكلات محدَّدة؟ أنا أعتقد أنّ هذا المفهوم ينطبق على صراعات معيَّنة كالصراع العربيّ الإسرائيليّ. ولكنْ في بعض الصراعات العالميَّة الأخرى لا يثارُ هذا المفهومُ على الإطلاق؛ فعلى سبيل المثال لم يتحدَّث الغربُ في خلافه مع ليبيا أو مع العراق أو مع السودان أو مع يوغوسلافيا عن ثقافة السلام، وإنَّما تحدث عن الإذعان فقط. أنا لا أعترض على مفهوم «ثقافة السلام» ابتداءً، ولكنْ يجب أن يكون هناك مدخلٌ صحيحٌ لهذا المفهوم.

صلاح بسيوني: أنا شخصيّاً متَّفق مع هذا التصوُّر تماماً، وأكرر أنّ على ثقافة السلام أن تنبثق من رؤيتنا نحن، لا أن تُفرض علينا أيةُ صور أخرى لثقافة السلام.

سيد ياسين: الدول الغربيّة التي تتبنَّى ثقافة السلام تَطْرح مثلاً قضية «حقوق الإنسان»، وهي قضيَّةٌ كلُّ الشعوب تريد تثبيتها. ولكنْ أين استنكار الولايات المتحدة ـ بمؤسساتها الخاصّة والعامَّة والرسميَّة ـ للاعتداءات الاسرائيليَّة على حقوق الإنسان الفلسطينيّ واللبنانيّ؟ لا نعرف بإزاء هذه المسألة سوى الصمت. الولايات المتحدة الأميركيَّة تدّعي أنها الحَكَم الأخلاقيّ العالميّ، ولكنّ هذا الحَكَم المزعوم مطعونٌ في شرعيَّته لأنَّه لا يطبِّق ما يدعو إليه بطريقةٍ عادلةٍ منتظمة. إذا قلنا «حقوق الإنسان»، فلا بدّ أن

تطبّق معاييرُها على إسرائيل وجرائمها ضد الشعب الفلسطينيّ واللبنانيّ. ولو قلنا «ثقافة السلام» فهل يطبّق الغربُ إجراءاتها على إسرائيل مثلما يطبّقها على الدول الأخرى، أم هو شعار أجوفُ، المقصودُ منه التأثيرُ على التنشئة الاجتماعيّة للأجيال الجديدة لأطفال العرب، وتمريرُ التطبيع، وتغييرُ البرامج التعليميّة، وطرحُ أفكارٍ تستنكر الحربَ بشكل عام دون التفرقة بين الحرب العادلة والحرب غير العادلة؟

بسيوني: هناك نقطتان أودّ أن أتحدّث بخصوصهما. النقطة الأولى هي أنّ ثقافة السلام هامة وأساسيّة ويجب أن نوضحها بالشكل الذي نراه نحن، وهذا ما نقوم به في حركة السلام المصريّة. والنقطة الثانية هي أنّ الجانب المعارض يقول لنا: أنتم تلعبون دوراً في فراغ، لأنّه لا توجد في إسرائيل قوى سَلاميّة أو قوى تقف معنا في خندق واحد. وأنا أقول على العكس: توجد قوى سلاميّة تتزايد داخل إسرائيل، ومن مصلحتنا أن نُجري حواراً معها وندعمها وننقل إليها وجهة نظرنا.

المحاور: لماذا يَتّهم بعضُ المتحمّسين لقضية ثقافة السلام أولئك الذين يكتبون مقالات انتقاديّةً لإسرائيل، أو لأميركا، أو لغيرها من القوى الدوليّة التي تتّخذ مواقف معادية للحقوق العربيّة، بأنّهم يَدْعون إلى ثقافة الحرب؟

بسيوني: هناك سوء في فهم هذا الموضوع. لماذا لا نتكلّم إلاّ عن ثقافة السلام أو ثقافة الحرب كبديل؟! أَوَلا يوجد سوى هذين الوجهين فقط؟

ياسين: لا يوجد ما يُسمّى بثقافة السلام في مقابل ثقافة الحرب. بل هناك الثقافة الوطنيّة على مستوى القطر المصريّ (وتَعْني الدفاعَ عن الأرض وشنَّ الحرب العادلة ضد مَنْ يعتدي علينا)، وهناك الثقافة القوميّة على مستوى الوطن العربيّ.

بسيوني: نحن ندخل المعركة بأسلحة مختلفة. فمعركة السلام ليست بالتأكيد معركةَ الحرب. ولا أظن أنّكَ تنادي اليومَ بالحرب بعد أن ثَبَتَ أنْ لا معنى لفناءِ طرفٍ بيدِ الطرفِ الآخر. أنا كنتُ أتمنى أن يكون هناك موقفٌ عربيٌّ يدعم الحقَّ الفلسطينيَّ بالفعل طوال الفترة الفائتة... ولكنّنا للأسف نتكلّم بعبارات كبيرة لا تمتّ الى الواقع بصلة.

ياسين: ستمتنع إسرائيل في كل الأحوال عن السماح بأن تَنْشأ دولةٌ فلسطينيّةٌ حقيقيّةٌ لها حدودٌ واضحةٌ. إسرائيل ترفض الانسحاب من الضفة الغربيّة، وتعطي الشعبَ الفلسطينيَّ مناطقَ مبعثرةً محاطةً بمستوطنات وبفِرَقٍ من الجيش الإسرائيليّ. هذا هو الواقع الذي يَفْترض البعض أنّني ابتعد عنه. فكيف بإزاء هذا الواقع نتكلّم عن ثقافة السلام؟!

جهاد عودة: ثقافة السلام لها جانبان كبيران. الأول هو الحرب العادلة، ويعني الدفاع الذاتيَّ والتناسبَ بين الأفعال والنوايا. ولكنّ ما نقرأه الآن في الصحف المصريّة لا يتعرّض للحرب العادلة، ومن ثمّ لا نعلم ماذا يُقْصد بثقافة السلام. هناك جانب آخر هو الحقوق الشرعية. أما إذا كانت ثقافةُ السلام هي مجردَ تبريرٍ للاعتداءات الإسرائيليّة وغطاء لا يعني سوى وجوب التعامل مع إسرائيل في أيّ ظرف مهما كان، فهذه ليست ثقافةَ سلامٍ بل ثقافة استسلام.

بسيوني: لا أحد يختلف مع فكرةِ أنّ الحرب العادلة هي الدفاع عن الوطن والحق. ولكنْ ينبغي ألا نخلط بين ثقافة السلام وثقافة الاستسلام، لأنّ الاستسلام لا يؤدّي الى سلام. أنا في الحقيقة رجلٌ واقعيٌّ وخصوصاً في السياسة، ولا أستطيع أن أتقبّل الأمور الخياليّة. نحن لا نقف ضدّ النضال في أيّ مكان، كما في جنوب لبنان على سبيل المثال، أو في أمكنةٍ أخرى.

ياسين: هذه ثنائيّة غير مقبولة: أن نضع ثقافة السلام في وضع ثقافة الحرب. نحن نتكلّم عن ثقافة وطنيّة لها ثوابتُها ومتغيّراتُها، ونتحدّث عن ثقافة قوميّة لها تاريخُها وهو تاريخ استنهاض همم الأمة للحصول على استقلالها إما بالمفاوضات أو بحدّ السلاح (كما حدث في الثورة الجزائريّة ضدّ الاستعمار الفرنسيّ). وعندما نتكلّم عن المستقبل ينبغي أن نظل مرتبطين بالواقع، والواقعُ معناه أن تنسحب إسرائيل من الأراضي العربيّة المحتلّة. والواقع معناه أيضاً أن تَقْتلع إسرائيلُ مستعمراتِها من الضفة الغربيّة وغزة، وتوافقَ على نشوء الدولة الفلسطينيّة المستقلّة، وأن تمتنع عن العدوان على الشعبَيْن الفلسطينيّ واللبنانيّ. هذا هو الواقع!

احمد الحملي: نستطيع أن نصل إلى أفكار محددة من خلال متابعة وسائل الإعلام الإسرائيليّة، أصحافةً كانت أم إذاعةً أم تلفزيوناً، وهي أنّ هناك تبايناً في الآراء بين رجال الفكر والثقافة. ففي السنوات الماضية كانت أصواتُ اليمين المتطرّف عاليةً، وكان النداء بما يسمى «إسرائيل الكبرى» عالياً، وكذلك الأصواتُ التي تؤكّد وجوبَ انتزاع الأراضي العربيّة. ولكنّ هناك اتجاهاتٍ جديدةً نشأتْ في مرحلةٍ ما بعد الحرب بين العرب وإسرائيل، وبدأتْ إسرائيل تبحث عن دواءٍ ضدّ عسر الهضم الثقافيّ والسياسيّ. ثمة اليوم اتجاهاتٌ جديدةٌ تدعو إلى أن تتخلّص إسرائيل من أفكار الماضي ورواسبه، لأنّه أصبح من المستحيل صناعةُ السلام في منطقة الشرق الأوسط حين تكون نيّةُ أيّ حكومة في إسرائيل أن تَفْرض تصفيةً دائمةً على الجانب الفلسطينيّ أو تقتلعَ أجزاءً من أراضي السيادة الفلسطينيّة. كيف تقوم الدولة الفلسطينيّةُ، والمستوطناتُ الإسرائيليّةُ تَفْصل بين أجزاء هذه الدولة؟ الشعب الفلسطينيّ في أجياله الجديدة سيرفض هذه

الأوضاع وسيعتبرها مجردَ وقفٍ مؤقتٍ لإطلاق النار. لقد توقفت الأصوات الداعية الى إسرائيل الكبرى، وهناك أصواتٌ تبحث عن سلام حقيقيّ في منطقة الشرق الأوسط لأنّ هذا سيكون فيه خلاصُ إسرائيل من مشاكلها الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

ياسين: النقطة المهمة في تحليل الأستاذ الحملي هي أنّ الوجهة الإسرائيليّة في تصور السلام تبدو كما لو كانت قنبلةً موقوتةً ستنفجر في المنطقة حين ينشأ جيلٌ فلسطينيٌّ جديد لا يرضى بما تم الاتفاقُ عليه لو قبلت السلطةُ الفلسطينيةُ الخطةَ الإسرائيليةَ المزعومةَ للسلام. بعثرةُ المستوطنات داخل الأراضي الفلسطينية، ومحاولةُ منع قيام كتلة إقليمية فلسطينية متسقة واختراقُها بالمستوطنات والجيش الإسرائيليّ، لن تؤديا الى أيّ نوعٍ من أنواع السلام. ومن هنا يؤكد الأستاذ الحملي أنه ستنشأ مرحلة أخرى من النضال بأشكاله المختلفة، التي قد يكون النضالُ المسلّحُ هو أحدها.

بسيوني: من حديث الحملي يظهر أنّ هناك احتجاجاً متزايداً داخل إسرائيل، وثمة رأي يقول إنه لن يكون هناك سلامٌ حقيقيّ إلا إذا كانت هناك دولة فلسطينيّة تَقْبل في أجيالها القادمة الأوضاعَ التي ستفرزها اتفاقياتُ السلام. وهناك في إسرائيل رفضٌ متزايدٌ لمنهج تسويةٍ غيرِ سلميةٍ وغيرِ عادلة. هذا يهمني أكثرَ من حديثٍ مؤدّاه أنّ هناك توزيعَ أدوارٍ أو أشياء من هذا القبيل، إذْ من الصعب أن نتصوّر مجتمعاً بكاملة يوزِّع أدواراً، بل المهم أنّ هناك داخل إسرائيل اتجاهاتٍ متزايدةً تنادي بوجوب سلام حقيقيّ. ولذلك لا بدّ أن نتحاور مع هذه الاتجاهات وندعمها. والسلام في النهاية لا بدّ أن يتحقق بثوابته التي لا أختلف فيها مع سيد ياسين.

ياسين: بالفعل هناك اتجاهات عديدة في إسرائيل. ولكنّ السلطة الحقيقيّة في يد اليمين الإسرائيليّ، سواء أخذ شكْلَ حزب العمل أو شكلَ الليكود، بدليل أنّ ميزانية المستوطنات فاقت في عهد باراك ما كانت عليه في عهد نتينياهو. وهناك مؤشّرات كمية كافيةٌ تُثْبت أنّ المشروع الصهيونيّ لارتياد الأرض الفلسطينيّة قائم على قدم وساق. نحن لا نتحدّث عن أقوال، بل عن أفعال تَحْدث كلّ يوم، والمفاوضات اليوم متعثرة جداً.

المحاور: دعوني ألخّص أهم الأفكار التي دارت في هذه الأمسية. لقد وصلنا إلى أنه لا أحد يعترض على ثقافة السلام بمفهومها العام من حيث المبدأ بين شعوب العالم في المجتمع الدوليّ الجديد، ولكنّ هناك رفضاً للمعايير المزدوجة التي تمارَسُ من قِبَلِ بعضِ القوى الدولية. وهناك أيضاً اتفاق على أنّ ثقافة السلام يجب ألا تكون على حساب ثقافة موازية أخرى تدعم حقوقَ النضال أو المقاومة للشعوب التي ما تزال حقوقُها مسلوبةً. ولكنّ هناك بعض الاختلافات حول تفسير ثقافة السلام وكيفية تطبيقها على المستوى الإعلاميّ أو السياسيّ أو الفكريّ أو الثقافيّ في العالم العربيّ. وفي الوقت نفسه هناك اختلافٌ واضح فيما يتعلّق بالذاكرة التاريخيّة، لأنّ الأحداث هي هي ولكنّ تفسيرها هو الذي يعكس الاختلاف في الرؤية. إذن المسألة ليست مجرد أحداث نُبرزها أو نخفيها أحياناً، بل في تأويل هذه الأحداث نفسها ستظل هناك مدارس تاريخيّة مختلفة. لكنّ الثقافة ـ سواء أكانت ثقافة سلام أم ثقافة نضال أم ثقافة حرب عادلة ـ لا بدّ أن تكون تعبيراً عن واقع لا أفكاراً تُفْرض على واقعٍ معينٍ بصرف النظر عمّا يجري فيه □.

القاهرة